﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٨٥﴾ [التوبة: 85]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بَيانُ أَثَرِ حُبِّ المالِ في الإعْراضِ عَنْ آياتِ اللهِ

مُناسَبَةُ ذِكْرِ هَذا الكَلامِ هُنا: أنَّهُ لَمّا ذَكَرَ ما يَدُلُّ عَلى شَقاوَتِهِمْ في الحَياةِ الآخِرَةِ كانَ ذَلِكَ قَدْ يُثيرُ في نُفوسِ النّاسِ أنَّ المُنافِقينَ حَصَّلوا سَعادَةَ الحَياةِ الدُّنْيا بِكَثْرَةِ الأمْوالِ والأوْلادِ وخَسِروا الآخِرَةَ. ورُبَّما كانَ في ذَلِكَ حَيْرَةٌ لِبَعْضِ المُسْلِمينَ أنْ يَقولوا: كَيْفَ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِالأمْوالِ والأوْلادِ وهم أعْداؤُهُ وبُغَضاءُ نَبيِّهِ؟! ورُبَّما كانَ في ذَلِكَ أيْضًا مَسْلاةٌ لَهم بَيْنَ المُسْلِمينَ، فَأعْلَمَ اللهُ المُسْلِمينَ أنَّ تِلْكَ الأمْوالَ والأوْلادَ وإنْ كانَتْ في صورَةِ النِّعْمَةِ فَهي لَهم نِقْمَةٌ وعَذابٌ، وأنَّ اللهَ عَذَّبَهم بِها في الدُّنْيا بِأنْ سَلَبَهم طُمَأْنينَةَ البالِ عَلَيْها؛ لِأنَّهم لَمّا اكْتَسَبوا عَداوَةَ الرَّسولِ ﷺ والمُسْلِمينَ كانوا يَحْذَرونَ أنْ يُغْرِيَ اللهُ رَسولَهُ بِهِمْ فَيَسْتَأْصِلَهم، وحاصِلُ المُناسَبَةِ بَيْنَ المُتَأخِّرِ والمُتَقَدِّمِ: أنَّهُ لَمّا كانَ مِن أقْوى أسْبابِ إعْراضِ المُنافِقينَ عَنْ آياتِ اللهِ كَثْرَةُ المالِ وطُغْيانُ الغِنى بَيَّنَ سُبْحانَهُ سوءَ عاقِبَةِ المالِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ﴾: أصلُ (عَجِبَ) يَدُلُّ عَلَى كِبْرٍ واسْتِكْبارٍ لِلشَّيْءِ، ومنه العُجْبُ، وهو أنْ يَتَكَبَّرَ الإنْسانُ في نَفْسِهِ. تَقولُ: هوَ مُعْجَبٌ بِنَفْسِهِ[2]. والمُعْجَب: الإنسانُ المُعْجَب بِنَفْسِهِ أو بالشَّيْءِ، تَقول: عجَّبتُ فلانًا بِشَيءٍ تعجيبًا فعجِب مِنْهُ[3]. والعَجَبُ: النَّظَرُ إلى شيءٍ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/286.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عجب).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (عجب).

غَيْرِ مأْلوفٍ ولا مُعتادٍ، والمقصودُ بالعَجَبِ في الآيَةِ: انفعالٌ يَعْرِضُ لِلنَّفْسِ عِندَ مُشاهدةِ أَمْرٍ غيرِ مأْلوفٍ خَفِيَ سَبَبُهُ.

2) ﴿وَتَزْهَقَ﴾: أصلُ (زهق): يَدُلُّ على تَقَدُّمٍ ومُضيٍّ وتَجاوُزٍ[1]. مِنْ ذلكَ: زَهَقَتْ نفسُه، وهيَ تَزْهَقُ زُهوقًا، أيْ: ذَهَبَتْ، وكلُّ شيءٍ هَلَكَ وبَطَلَ فقد زَهَقَ[2]. وزَهَقَ الباطلُ: إذا غَلَبَهُ الحقُّ[3]. ويُقالُ: زَهَقَ الفَرَسُ أَمامَ الخَيْلِ، وذلكَ إذا سَبَقَها وتَقَدَّمَها. ويُقالُ: زَهَقَ السَّهْمُ، إذا جاوَزَ الهَدَفَ. وَمِنَ البابِ الزَّهَقُ، وهو قَعْرُ الشَّيءِ؛ لِأَنَّ الشَّيءَ يَزْهَقُ فيه إذا سَقَطَ، والزُّهوقُ، وهو البِئْرُ البَعيدَةُ القَعْرِ[4]. والمرادُ بالزُّهوقِ في الآيَةِ: الخُروجُ بِشِدَّةٍ وضيقٍ. وقدْ شاعَ ذِكرُه في خُروجِ الرّوحِ مِنَ الجَسَدِ[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

النَّهْيُ عَنِ اسْتِحْسانِ بَعْضِ مَظاهِرِ المُنافِقينَ

لا تُفتَتِنْ أَيُّها العاقِلُ بِأَموالِ المنافقينَ الكَثيرَةِ، ولا تَسْتَحْسِنْ أَوْلادَهُمُ الَّذينَ يَعْتَزّونَ بِهِمْ، ولا يُداخِلْ قَلبَك شَيْءٌ مِنَ الإعجابِ بما بَيْنَ أَيْديهِمْ مِنْ نِعَمٍ، فإنَّ هذه النِّعَمَ - الَّتي مِن أَعْظَمِها الأموالُ والأولادُ - إنَّما يُريدُ اللّهُ أنْ يُعذِّبَ المُنافقينَ بها في حياتِهِمُ الدُّنيا، بالهُمومِ والغُمومِ، بأَخْذِ الزَّكاةِ مِنهُم، وبِما أُلزِموا بالإنفاقِ فيهِ، وبِما يَعْتَري أموالَهُم وأولادَهمْ مِن مَصائِبَ وتعبٍ في جَمعِ الأَمْوالِ، ووَجَلٍ في حِفظِها، وخوفٍ مِن زَوالِها، وغَيرِ ذلكَ. ويريدُ اللّهُ أنْ تَخرُجَ أرواحُ المُنافِقينَ مِنْ أجسادِهِمْ بشدَّةٍ وضيقٍ، وهُم مُقيمونَ عَلى كُفرِهِمْ[6].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (زهق).
(2) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (زهق).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (زهق).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (زهق).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/229.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 11/615، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 8/164، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/163، والسّعديّ، ص: 347، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 6/372.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالَةُ الواوِ في ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ﴾:

ناسَبَ السِّياقَ هُنا العَطْفُ بِالواوِ، وفي الأُخرى العَطْفُ بِالفاءِ

الواوُ في قَوله: ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ﴾ عاطِفَةٌ، فقد عَطفَتْ جُملةَ النَّهْي هذه، عَلى جُملةِ النَّهْي السّابِقَة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓ﴾ فَأصْبَح لَدَيْنا ثَلاثَة أَفْعالٍ مُتَناسِقَةٍ مَسْبوقَةٍ بِنَفْس النَّهْي هي: ﴿وَلَا تُصَلِّ﴾ ﴿وَلَا تَقُمۡ﴾ ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ﴾ "وهذه الأفعالُ بِمُضيِّها وانْقِضائِها، لا تَكونُ شَرْطًا فَتُعقَبَ بِالفاءِ الّتي تَدلُّ عَلى الجَزاءِ، فَعُطفتِ الآيةُ بَعدَها على ما قَبلَها بِالواوِ، لِبُطلانِ المَعنى الّذي يَقْتَضي الفاءَ"[1].

وأمّا الآيَةُ الأُخْرى الوارِدُ فيها العَطْفُ بِالفاءِ ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ﴾ [التوبة: 55]؛ فَهو أَنسَبُ، حَيْثُ عَطْفُهُ بِالفاءِ لِمناسَبةِ تَعْقيبِ قَولِه: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: 54] أيْ: كارِهونَ لِلإنفاقِ، فَهُم مُعْجَبونَ بِكَثْرَةِ الأموالِ والأوْلادِ فَلِذلكَ نَهاهُ عَنِ الإعْجابِ بِفاءِ التَّعْقيبِ لِهذه المُناسَبَة[2].

صاحِبُ الخِطابِ في: ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ﴾:

سوقُ الخِطابِ لِرَسولِ اللهِ ﷺ والقَصدُ إلى مُخاطَبَةِ المؤمِنينَ

هذا الخِطابُ، وإنْ كانَ في الظّاهِرِ مُخْتَصًّا بِالرَّسولِ ﷺ، إلّا أنَّ المُرادَ مِنْهُ كُلُّ المؤمنينَ، أيْ: لا يَنْبَغي أنْ تُعجَبوا بِأموالِ هؤلاءِ المُنافِقينَ والكافرينَ، ولا بِأَولادِهِمْ ولا بِسائِرِ نِعَمِ اللهِ عَلَيهِم، ونَظيرُهُ قولُهُ تَعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ﴾ [طه: 131][3].

فائدَةُ التَّكرارِ في: ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ﴾:

التَّحذيرُ مِنَ الإعجابِ بِكَثْرَةِ الخَبيثِ

قَد أُعيدَ قَوْله: ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ﴾ لأنّ تجدُّدَ النُّزولِ لَهُ شَأنٌ في تَقريرِ ما نَزَلَ لَهُ وتَأكيدِه، وإرادَةِ أنْ يَكونَ على بالٍ مِنَ المُخاطَبِ لا

(1) الإسكافيّ، درّة التّنزيل: 2/715.
(2) السّمين، الدرّ المصون: 6/94.
(3) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 16/71.

يَنْساهُ ولا يَسْهو عَنْهُ، وأنْ يَعْتَقِدَ أنَّ العَملَ بِهِ مُهِمٌّ يَفْتَقِرُ إلى فَضلِ عِنايَةٍ بِهِ، لا سيَّما إذا تَراخَى ما بَيْنَ النُّزولَيْنِ، فَأشْبَهَ الشَّيءَ الّذي أهمَّ صاحِبَهُ، فهوَ يَرْجِع إلَيهِ في أثْناءِ حَديثِهِ، ويَتَخَلَّصُ إلَيهِ، وإنّما أُعيدَ هذا المَعْنى لِقوَّتِهِ فيما يَجِبُ أنْ يُحذَّرَ مِنْهُ[1].

وقدْ يُنْظَر إلى المَوضِعَين على أنَّهُ لَيْس بَيْنَهما تَكرارٌ بالمَعْنى الّذي قَد يَسْبِقُ إلى الفَهْمِ مِن لَفْظِ التَّكرارِ، فَقدِ افْتَرَقَتِ الآيَتانِ تَرْكيبًا وسياقًا وبُعدًا زَمَنيًّا في نُزولِ كُلٍّ مِنْهُما. "وإنّ هذا الاخْتِلافَ في الألْفاظِ هو تَصْريفُ القَولِ الّذي هوَ مِنْ أسْبابِ الإعجازِ البَيانيِّ، كَما قالَ تَعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾ [الأنعام: 105]، فهَلْ يُعَدُّ هذا مِنَ التَّكْرارِ؟ نَقولُ: إنَّه يَكونُ مِنَ التَّكرارِ إذا كانَتِ المُناسَبَةُ الّتي ذُكِرتْ فيها الآيَتانِ واحِدَةً، أمّا إذا اخْتَلَفَتِ المُناسَبَةُ، فَإنّها تُغَيِّرُ المَقْصودَ، وإذا تَغَيّرَ المَقْصودُ لا يَكونُ المَعْنى واحدًا مِن كُلِّ الوجوهِ"[2].

وقدْ قيلَ: إنّهُ أرادَ بالآيَةِ الأولى قَوْمًا مِنَ المنافقينَ كانَ لَهُم أَمْوالٌ وأَوْلادٌ عِندَ نُزولِها، وبالآيَةِ الأُخْرى أقْوامًا آخَرينَ مِنْهُم[3].

إيثارُ لَفْظِ العجبِ دونَ غَيرِهِ:

أوثِرَ لَفْظُ الإعجابِ في الآيَةِ دونَ غَيرِهِ، لأنَّ وَصْفَ العَجيبِ يُقال لِما لَم يُعْهَد مِثْلُهُ[4]، وفيهِ معْنى الاسْتِحْسانِ المَشُوبِ بالاسْتِغرابِ والسُّرورِ مِنَ المَرْئيِّ[5] وعَليْهِ، فَإيثارُ لَفْظِ الإعْجابِ هُنا؛ لأنَّ اعتقادَ المُعْجَبِ بالشَّيْءِ أنَّ الشَّيْءَ طَريفٌ مُخالِفٌ للمَعْهودِ في بابِهِ[6].

قَـد تَسْتَحسِنُ الـعَـينُ شَيْئًا يُـسْـتَـدرَجُ بِـهِ صاحِبُهُ

الجَمْعُ بَيْنَ النَّهي عَنِ الإعْجابِ هُنا وإثْباتِهِ في سورَةِ المنافقينَ:

في قولِهِ تَعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: 4]

قَـدْ يُـعـجِـبُـكَ المَـظْـهَـرُ، فَـلا يَـغُـرَّنَّـكَ ما هُـمْ فيهِ مِـنْ أَمْـوالٍ وأَوْلادٍ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/299.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3401.
(3) الخازن، لباب التّأويل: 2/393.
(4) الرّاغب الأصفهانيّ، المفردات، ص: 547.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/229.
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (عجب).

أَثْبَتَ القُرآنُ أنّ المنافقينَ أحسَنُ النّاسِ أجسامًا؛ وأخلَبُهم لِسانًا، وألطَفُهم بَيانًا لِحُسْنِ مَنطِقِهِمْ وفَصاحَةِ كَلامِهِمْ؛ فالإعْجابُ في سورة (المنافقون) عَلى مُقْتَضى المَظاهِرِ؛ ولكنْ - في الواقِعِ - المنافقونَ أخْبَثُ النّاسِ قُلوبًا، وأضْعَفُهُم جَنانًا بما قَرَّرَهُ الشّرْعُ مِن أنّ مَظاهِرَهُم تُناقِضُ مَخابِرَهُم[1]، فَلا تَعارُضَ بَيْنَ إثْباتِ العجبِ هُناك، ونَفْيِهِ هُنا؛ لأنّ الجِهَةَ مُنْفَكَّةٌ؛ إذِ الإعْجابُ بالمَظْهَرِ هناكَ خَبرٌ يُرادُ مِنْهُ التَّحْذيرُ مِن حَقيقَتِهِمُ الفاسِدَةِ؛ لِدَفْعِ إيهامِ مَنْ يَغُرُّهُ ظاهِرُ صوَرِهِمْ.

ولِذا أُتْبِعَ انْتِفاءُ فِقْهِ عُقولِهِمْ بِالتَّنْبيهِ عَلَى عَدَمِ الاغْترارِ بِحُسْنِ صوَرِهِمْ، فَإنَّها أجْسامٌ خاليَةٌ عَنْ كَمالِ الأنْفُسِ[2].

سِرُّ تَقديمِ الأموالِ عَلى الأولادِ:

تَقْديمُ المَفْضولِ عَلى الفاضِلِ ضَرُورَة

قدّمَ الأمْوال عَلى الأوْلادِ؛ لأنَّ الأموالَ تُلْهي أكْثَرَ مِنَ الأوْلادِ، فَإنَّ الانْشغالَ بها وبِتَنْميَتِها يَسْتَدعي وَقتًا طويلًا، وقدْ يَنْشَغِلُ المَرْءُ بها عَنْ أهْلِهِ، فَلا يَراهُمْ إلّا لِمامًا؛ فَقدّمَ الأمْوال لِذلِكَ، أيْ: قدّمَ المَفْضول عَلى الفاضِلِ، فالأوْلادُ أفْضَلُ مِنَ الأموالِ، لأنّ المالَ إنّما يَكونُ في خِدْمَتِهِمْ ويُتركُ لَهُم[3].

وهذا التَّرْتيبُ يَسْلُك مَنْهجَ التَّرَقّي فَيَبْتَدِئُ بالأدنى ثُمّ يَتَرَقّى إلى الأشْرَفِ، ولا شَكَّ أنّ الأوْلادَ أشْرَفُ مِنَ الأمْوالِ، بَلْ الأمْوالُ تُجمَعُ لِأجْلِهِمْ، وقد تُسْتَباحُ الحُرُماتُ في سَبيلِ تَحْصيلِها لَهُمْ.

السِّرُّ في عَدَمِ إعادَةِ (لا النّافيَة) هُنا:

ذِكْرُ الأوْلادِ اسْتِطْرادًا وتَكْمِلَةً لَيْسَ كَذِكْرِهِمْ أصالَةً وأُسْوَةً بِالأمْوالِ باغْتِبارِ النَّفْي

السِّرُّ في عَطْفِ الأوْلادِ عَلى الأمْوالِ دونَ إعادَةِ لا النّافيَة هنا، وتَكْرارِها في قَوله: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾ [التوبة: 55] راجِعٌ

(1) ابن القيّم، مدارج السّالكين: 1/361.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/238.
(3) السّامرائيّ، لمسات بيانيّة من نصوص التّنزيل، ص: 181.

إلى اخْتِلافِ السِّياقِ بَيْنَ الآيَتَيْنِ؛ إذْ جاءَتِ الأولى في سياقِ القِتالِ والجِهادِ، أمّا الثّانيَةُ فَهيَ في سياقِ الأمْوالِ والإنْفاقِ.

وذِكْرُ الأوْلادِ في [الآيَةِ: 55] كان لِمُجَرَّدِ التَّكْمِلَةِ والاسْتِطْرادِ؛ إذِ المَقامُ مَقامُ ذَمِّ أمْوالِهِمْ إذْ لَمْ يَنْتَفِعوا بِها، فَلَمَّا كانَ ذِكْرُ الأوْلادِ تَكْمِلَةً كانَ شَبيهًا بِالأمْرِ المُسْتَقِلِّ فَأُعيدَ حَرْفُ النَّفْيِ في عَطْفِهِم، بِخِلافِ مَقامِ هَذِهِ الآيَةِ فَإنَّ أمْوالَهُمْ وَأوْلادَهُمْ مَعًا مَقْصودٌ تَحْقيرُهُما في نَظَرِ المُسْلِمينَ[1].

فائدَةُ صيغَةِ الجَمْعِ في الأموالِ والأوْلادِ:

إيرادُ صيغَةِ الجَمْعِ في الأموالِ والأوْلادِ لِاسْتيعابِ مُفْرَداتِها التَّصَوُّرِيَّةِ

صيغَةُ الجَمْعِ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ﴾ مُؤَدّيَةٌ لِلمَعاني كُلِّها؛ لِأنَّ مِنْهُم مَنْ لَهُ مالٌ يَعتزّ بِهِ، ومِنهُمْ مَن لهُ أَولادٌ كَثيرونَ هُم عِزْوَتُه، ومِنهُمْ مَن لهُ المالُ والوَلَدُ، لِذلكَ جاءَ القولُ بِصيغَةِ الجَمْعِ لِيَشْمَلَ مَن عِندهُ مالٌ فَقط، ومَن عِنْدهُ أَوْلادٌ فَقط، ومَن عِنْدهُ المالُ والولَدُ[2].

عِلَّةُ الفَصْلِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ﴾:

تَعليلُ أَحكامِ اللهِ مُحالٌ

قَولُهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم﴾ اسْتِئْنافٌ مُقَرِّرٌ ومُنَبِّهٌ عَلى أنَّ التَّعْليلَ في أحْكامِ اللهِ تَعالى مُحالٌ، وأمّا عَنْ ورودِهِ بِاللّامِ في قَولِهِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [التوبة: 55] فاللّامُ فيهِ لَيْسَتْ لِلتَّعليلِ، ولَكِنَّها في مَعْنى (أنْ) وذلكَ أنَّهُ أيْنَما وَرَدَ حَرْفُ التَّعْليلِ فَمَعْناهُ (أنْ) كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [البينة: 5]، أيْ: وما أُمِروا إلّا أنْ يَعْبُدوا اللّه[3].

دلالَةُ التّأكيدِ بِـ(إنّ)، وفائدَةُ (ما) الكافَّة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾:

حَشْدُ المُؤَكِّداتِ لِتَثْبيتِ المَعاني وحَضْرِها

(إنَّ) تُفيدُ تَوْكيدَ الكَلامِ، و(ما) الكافَّة تُقوّي هذا التَّوكيدَ، وتُثْبِتُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/287.
(2) الشّعراوي، تفسير الشعراوي: 9/5399.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 16/117.

مَعنى الكلام، فتُفيد ثبوتَ ذلك المَعنى المَذكورِ في اللَّفظِ خاصَّةً ثُبوتًا لا يُشاركهُ فيهِ غيرُهُ؛ أمَّا على قولِ الجمهورِ فإنَّ "ما" هي الكافَّةُ الّتي إذا دَخلتْ على "إنَّ" أفادَتِ الحصْرَ، هذا هو الصحيحُ[1].

سِرُّ التَّعبيرِ بالإرادَةِ، وإسْنادِها إلى اسمِ الجَلالَةِ:

تَعليقُ الأشْياءِ كُلِّها بِإرادَةِ اللهِ تَعالى

عَبّر البَيانُ القُرآنيُّ بـ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾؛ لِلدّلالَةِ على أنّهُ يوقِعُ الإرادَةَ لَهمْ بها المَلِكُ الَّذي لَهُ الإحاطَةُ بِجَميعِ الحِكْمَةِ كَما أنَّ لَهُ الإحاطَةَ بِتَمامِ القُدْرَةِ[2].

دلالَةُ صيغَةِ المضارِعِ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾:

القَصْدُ إلى تَجديدِ العَذابِ وتَنويعِهِ بِدلالَةِ المضارِعِ

عُبّر بِصيغَةِ المضارِعِ هُنا للدّلالَةِ عَلى تَجدُّدِ العذابِ واسْتِمرارِهِ.

سِرُّ التَّعبيرِ باسْمِ الجَلالَةِ الكَريمِ ﴿ٱللَّهُ﴾:

عبّر القرآنُ بالاسمِ الجليلِ لِتَخويفِهِمِ وتَرْبيَةِ المَهابَةِ في قُلوبِهِمْ عَسى أنْ يَنْتَبِهوا ويُفيقوا

أوثِرَ لَفْظُ اسْمِ الجَلالة الكَريم ﴿ٱللَّهُ﴾ دونَ لَفْظِ (الرّبّ)؛ لأنَّ الآيَةَ ذُكرتْ في مَقامِ التَّخويفِ الشّديدِ وفي مَقامِ التّكليفِ والتّهْديدِ، فتَناسَبَ ذِكرُ اسْمِ الجَلالَةِ ﴿ٱللَّهُ﴾ مَعَها، أمّا كَلِمَةُ (الرّبّ) فتَأتي بِصفةِ المالِكِ والسَّيّدِ والمُربّي والهادي والمُرشِدِ والمُعلِّمِ، وتَأتي عندَ ذِكرِ فَضلِ اللّهِ على النّاسِ جميعًا مؤمنينَ وغيرَ مؤمنين فهو سُبحانه المتفضّلُ عَليهِم والّذي أنْشأهم وأوجَدَهم مِن عَدمٍ وأنْعَم عَليهِمْ[3].

المتشابِهُ اللَّفظيّ:

ذِكْرُ الألْفاظِ وسِياقاتِها بِحَسبِ مَقاماتِها

جاء التَّعبيرِ هُنا بِقَوله: ﴿أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا﴾ وهُناك بِقَوله: ﴿لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [التوبة: 55]، ونُكْتَةُ إضافة الحياة في الآيَة السّالِفَة هي أنّها ذَكَرَتْ حالَةَ أمْوالِهِمْ في حَياتِهِمْ، فكانت هناك حاجةٌ إلى ذكر الحياة. وهُنا ذُكِرَتْ حالَةُ أمْوالِهِمْ بَعْدَ مَماتِهِمْ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ فَقَدْ صاروا إلى حَياةٍ

(1) ابن رجب الحنبليّ، التّفسير: 2/109 - 110.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/500.
(3) السّامرّائيّ، لمسات بيانية، ص: 586.

أُخْرى وانْقَطَعَتْ حَياتُهُمُ الدُّنْيا وأصْبَحَتْ حَديثًا فلم تكن حاجةٌ إلى ذكر الحياة هنا[1]:

دلالَةُ باءِ السَّبَبيَّةِ في: ﴿يُعَذِّبَهُم بِهَا﴾:

تَعذيبُ المنافقينَ بِما شَأنُهُ أنْ يَكونَ سَببًا لِنَعيمِهِمْ

بَيانُ ذلكَ: أنَّ اللّه كَشَفَ سِرًّا مِن أسْرارِ نُفوسِ المُنافِقينَ، بِأنَّهُ خَلَقَ في نُفوسِهِمْ شُحًّا وحِرْصًا عَلى المالِ وفِتْنَةً بِتَوْفيرِهِ والإشْفاقِ مِن ضَياعِهِ، فَجَعَلَهم بِسَبَبِ ذَلِكَ في عَناءٍ وعَذابٍ مِن جَرّاءِ أمْوالِهِمْ، فَهم في كَبَدٍ مِن جَمْعِها. وفي خَوْفٍ عَلَيْها مِنَ النُّقْصانِ، وفي ألَمٍ مِن إنْفاقِ ما يُلْجِئُهُمُ الحالُ إلى إنْفاقِهِ مِنها، فَقَدْ أرادَ اللّه تَعْذيبَهم في الدُّنْيا بِما شأنُهُ أنْ يَكونَ سَبَبَ نَعيمٍ وراحَةٍ، وتَمَّ مُرادُهُ. وهَذا مِن أشَدِّ العُقوباتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وهَذا شَأْنُ البُخَلاءِ وأهْلِ الشُّحِّ مُطْلَقًا[2].

تَوجيهُ التَّعبيرِ بِـ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾:

قَدْ يُغْني ذِكْرُ الصِّفَةِ عَنِ الموصوفِ بِما هو مَعهودٌ

أمّا قولُهُ تعالى في الآيَةِ الأولى: ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فَقد جَعلَ (الدُّنيا) صِفَةً لِلحياةِ، وقالَ في هذه الآيَةِ: ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ فَأغْنى بِذكرِ الصِّفَةِ عَن ذِكرِ الموصوفِ؛ لأنَّ الثّانية لمّا كانتْ بَعد الأولى، وقد نبّهَ في الأولى عَلى الموصوفِ، كانَ في ذِكرِهِ هُناك غنًى عَن ذِكرِهِ في هذا المكانِ، لا سيّما والدُّنيا كاسْم عَلَم لِلحياةِ الأولى ولِلدّارِ الدُّنيا، فَأغْنى كُلّ ذلك عنْ ذِكرِ الحياةِ، والإتيانِ بالمَوصوفِ هنا، وهذهِ حالُ الصِّفَة[3].

إهْمالُ لَفْظِ (الحياةِ) والاقْتِصارُ عَلى لَفْظَةِ (الدُّنيا) لِلدّلالَةِ عَلى خِسَّتِها

وقد يَكون الفرْقُ في كَونِهِ ذَكَرَ في الآيَةِ الأولى: ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، وهَهُنا ذَكَر ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ وأسْقَطَ لَفْظَ الحَياةِ؛ تَنْبيهًا عَلى أنَّ الحَياةَ الدُّنْيا بَلَغَتْ في الخِسَّةِ إلى أنَّها لا تَسْتَحِقُّ أنْ تُسَمّى حَياةً، بَلْ يَجِبُ الاقْتِصارُ عِنْدَ ذِكْرِها عَلى لَفْظِ الدُّنْيا؛ تَنْبيهًا عَلى كَمالِ دَناءَتِها[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 10/287.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/228.
(3) الخطيب الإسكافيّ، درّة التّنزيل وغرّة التّأويل: 2/718.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 16/117.

دلالَةُ الواوِ في ﴿وَتَزْهَقَ﴾:

عَطْفُ جُملةِ (وتَزْهَقَ) على جُمْلَةِ (يُعَذِّبَهُم) يَستَغرِقُ التَّعْذيبَ بِالأَموالِ والأَوْلادِ

الواوُ في الآيةِ لِعَطفِ جُملة ﴿وَتَزْهَقَ﴾ على ﴿يُعَذِّبَهُم﴾ باعْتِبارِ كَوْنِهِ أرادَهُ اللّه لَهم عِنْدَما رَزَقَهُمُ الأَمْوالَ والأَوْلادَ، فَيُعْلَم مِنهُ: أَنَّهُ أرادَ مَوْتَهم عَلى الكُفْرِ، فَيَسْتَغْرِقُ التَّعْذيبُ بِأَمْوالِهِمْ وأَوْلادِهِمْ حَياتَهم كُلَّها؛ لِأَنَّهم لَوْ آمَنوا في جُزْءٍ مِن آخِرِ حَياتِهِمْ لَحَصَلَ لَهم في ذَلِكَ الزَّمَنِ انْتِفاعٌ ما بِأَمْوالِهِمْ ولَوْ مَعَ الشُّحِّ[1].

إيثارُ لَفْظِ ﴿وَتَزْهَقَ﴾:

التعبير بزُهوقِ النَّفْسِ لِلدّلالَةِ على شِدَّةِ خروجِها

أوثِرَ لَفظُ ﴿وَتَزْهَقَ﴾ لِلدّلالَةِ على خروجِ أرواحِهِمْ بِشِدَّةٍ وضيقٍ؛ والظّاهِرُ: أَنَّ زُهوقَ النَّفْسِ هُنا كِنايَةٌ عَنِ المَوْتِ. قالَ ابْنُ عَطيَّةَ: ويُحْتَمَلُ أَنْ يُريدَ: وتَزْهَقَ أَنْفُسُهم مِن شِدَّةِ التَّعْذيبِ الَّذي يَنالُهم[2].

فائدَةُ إسنادِ ﴿وَتَزْهَقَ﴾ إلى ﴿أَنفُسُهُمْ﴾:

أُسْنِدَ الفِعْلُ (وَتَزْهَقَ) إلى الأَنْفُس على سَبيلِ المَجازِ العَقليِّ

أُسْنِدَ الإزهاقُ إلى الأَنْفُس على سبيلِ المجازِ العَقليِّ؛ وكَأَنّ الأَنْفُس هيَ الّتي سَعَت إلى أنْ تَزْهقَ وعانَتْهُ مِن أجْلِ التَّخلُّصِ مِن عذابِ الدُّنيا الّذي أَرادَهُ اللّهُ لَهُم، إمّا بِسَبب أَمْوالِهِمْ وأَوْلادِهِمْ والانْشغالِ بِهِمْ إلى حدَّ الهَمِّ الّذي يُكدِّرُ الصَّفْوَ ويُعَكِّرُ الأَمْزِجَةَ، وإمّا بِسَبب همومٍ أُخرى يُلْقيها اللّهُ عَلَيهم لِبُعْدِهِمْ عَن نَعيمِ الطّاعةِ وجَنَّةِ القُرْبِ مِنْهُ سُبحانهُ، أوْ لِهذا كُلِّهِ جميعًا ولِغَيرِه أيضًا، عندَئذٍ تَسْعى النَّفْس إلى المَوتِ وتَطْلُبُهُ؛ ظنًّا مِنها أنَّ فيهِ الخلاصَ، كَما في قَول القائِلِ:

أَلا مَوْتٌ يُباعُ فَأَشْتَريهِ *** فَهَذا العَيْشُ ما لا خَيْرَ فِيهِ

ويُساعِدُ على هذا الفهْمِ ما في كَلِمةِ ﴿وَتَزْهَقَ﴾ مِن دلالَةٍ عَلى مَعنى المُعاناةِ، فيُقال: "زَهَقَتْ نفسُهُ: خَرَجتْ مِنَ الأَسَفِ عَلى الشَّيْءِ"[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/229.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/437.
(3) الرّاغب، المفردات: (زهق).

ويَجوزُ أنْ يَكونَ هذا الإسْنادُ لِلدّلالةِ على أنّ المنافقينَ يَموتون على الكُفْرِ لاشْتِغالِهِمْ بِالتَّمَتُّعِ بِالدّنيا والالتِهاءِ عَنِ النَّظَرِ والتَّدَبُّرِ في العَواقِبِ[1]، حتّى إنّ نفوسَهُم تَزْهَق على هذه الحالَةِ مِنَ الانْشِغالِ عَنِ الموتِ، فَتَبدو لِعَدمِ الاعْتناءِ بِهِ وكَأنّها هي الّتي طَلَبَتهُ.

مُناقَشَةُ دَعْوى التَّقديمِ والتَّأخيرِ في النَّظْمِ الكَريمِ:

الاتِّساقُ في تَحْصيلِ مَعاني القُرآنِ عَلى مُقْتَضى التَّقْديمِ والتَّأْخيرِ

بَنى بَعضُ المُفسِّرينَ الآيَةَ ونَظيرتَها في نَفْسِ السُّورَةِ على التَّقْديمِ والتَّأْخيرِ، فذَكروا أنَّ قولَهُ سُبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: 55]. وقولَه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة 85] الأصلُ فيهما: (ولا تُعجِبْكَ أموالُهُم وأولادُهم في الدّنيا، إنّما يريدُ اللّهُ أنْ يعذّبهم بها في الآخرة)[2].

لَكنَّ القَوْلَ بِالتَّقديمِ والتَّأخيرِ دَعا القائلينَ بِهِ إلى تَقْديرِ مَحْذوفٍ يَلْتَئِمُ بِهِ الكَلامُ، حتّى يَظْهرَ سِرُّ كَونِ الأمْوالِ والأوْلادِ عَذابًا لَهُم في الآخِرَةِ؛ أيْ: سَبَبًا في هذا العَذابِ.

وإذا قُدِّر هذا المَحْذوفُ لَم تَبْقَ فائدَةٌ لِلقَولِ بالتَّقديمِ والتَّأخيرِ؛ "لِأنَّهُ يَصحّ أنْ يُقال: (يُريد اللّهُ أنْ يُعذِّبهم بها في الدُّنيا مِن حيْث كانَتْ سببًا لِلعذابِ)"[3]، فيُغْني تَقديرُ المَحذوفِ عَنِ القَولِ بِالتَّقديمِ والتَّأخيرِ.

كيفَ يُعذَّبُ المُنافِقُ بِمالِهِ ووَلَدِهِ في الدُّنيا؟

تَعْذيبُ المُنافقينَ بِالأموالِ والأوْلادِ مِن حَيْث الجَمْعُ والحِفْظُ والقيامُ عَليها

"سَببُ كَونِ المالِ والوَلدِ عَذابًا في الدُّنيا هو ما يَحصلُ مِنَ المَتاعِبِ والمَشاقِّ في تَحصيلِهما، فَإذا حُصِّلا ازْدادَ التَّعَبُ وتَحمُّلُ المشاقِّ في حِفْظِهما، ويَزدادُ الحُزنُ والغَمُّ بِسَببِ المصائِبِ الواقِعَةِ فيهما"[4].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/90.
(2) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 131.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 72/16.
(4) الخازن، لباب التّأويل: 2/371.

عَجيبُ تَزْكيَةِ ومُجاهَدَةِ المُنافقينَ:

وَجْهٌ آخَرُ في تَصْويرِ تَعْذيبِ المُنافِقينَ بالأموالِ والأوْلادِ

قيل: تَعْذيبُهم في الدُّنْيا بالأمْوالِ لأخْذِ الزَّكاةِ منهم والنَّفَقَةِ في سَبيلِ اللّه تَعالى مَعَ عَدَمِ اعْتِقادِهِمُ الثَّوابَ عَلى ذَلِكَ، وتَعْذيبُهم فيها بالأوْلادِ أنَّهم قَدْ يُقْتَلونَ في الغَزْوِ، فَيَجْزَعونَ لِذَلِكَ أشَدَّ الجَزَعِ، حَيْثُ لا يَعْتَقِدونَ شَهادَتَهم وأنَّهم أحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقونَ، وأنَّ الاجْتِماعَ بِهِمْ قَريبٌ، ولا كَذَلِكَ المُؤْمِنونَ فيما ذُكِرَ[1].

هَلِ العَذابُ بالأموالِ والأوْلادِ في الدُّنيا خاصٌّ بالمنافقينَ؟

أورِد على هذا القولِ: أنّ هذا التَّعذيبَ حاصِلٌ لِكلِّ أحَدٍ مِن بني آدَمَ؛ مُؤمِنِهم وكافِرِهِمْ، فَما فائدَةُ تَخْصيصِ المنافقينَ بِهذا التَّعذيبِ في الدُّنيا؟

وأُجيبَ عَن هذا الإيرادِ: بأنَّ المنافقينَ مَخصوصونَ بزيادَةٍ مِن هذا العَذابِ؛ وهو أنَّ المؤمِنَ قَد عَلِم أنّهُ مَخلوقٌ لِلآخِرَةِ، ويعتقدُ أنَّهُ يُثابُ بالمصائِبِ الحاصِلَةِ لهُ في الدُّنيا فَلَم يَكُنِ المالُ والولَدُ في حَقِّهِ عَذابًا في الدُّنيا. وأمّا المنافِقُ؛ فإنّهُ لا يَعْتَقِدُ كَونَ الآخِرَةِ لَهُ، وأنّهُ لَيْس فيها ثَوابٌ، فَبقِيَ ما يَحصلُ لَهُ في الدُّنيا مِنَ التَّعَب والشِّدَّة والغَمِّ والحزنِ على المالِ والوَلَدِ عذابًا عَليهِ في الدُّنيا، فَثَبتَ بِهذا الاعْتبارِ أنَّ المالَ والوَلَدَ عَذابٌ عَلى المنافقينَ في الدُّنيا دونَ المؤمنينَ[2].

السِّرُّ وراءَ ذِكْرِ ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ وحَذْفِ (الْآخِرَةِ):

مُناسَبَةُ مَذَمَّةِ المنافقينَ في الدُّنيا

ذِكْرُ ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ دونَ (الآخرة) تَأْكيدٌ على مآلِ هؤلاءِ المنافقينَ مِنْ كلِّ ذلكَ المتاعِ مِنَ الأَموالِ والأَوْلادِ، وأنَّ ما هُمْ فيهِ ما هُوَ إلّا مَتاعٌ مؤَقَّتٌ في دارِ الدّنيا، ولَيس مَحلَّ إعْجابٍ.

ولَم تُذْكرِ الآخِرةُ؛ لأنّ سياقَ الآيَةِ في مذَمّةِ حالِ المنافقينَ في فَسادِ عَقيدَتِهِمْ، وعَدمِ إغْناءِ دُنياهمْ عَنْهم مِنَ اللّهِ شيئًا.

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 5/308.
(2) الخازن، لباب التّأويل: 2/371.

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بِالكُفْرِ هُنا وبِالفِسْقِ في الآية السّابقة:

الفِسْقُ خُروجٌ عَنِ الإيمانِ بَعْدَ التَّلَبُّسِ بِهِ

أوثرَ التَّعْبيرُ عَنِ المنافقينَ بالكُفْرِ هُنا، وبالفِسْقِ في الآية السّابقة؛ لأنَّ جُمْلَةَ ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: 84] مَعْطوفَةٌ عَلى عِلّةِ نَهْيِهِ عَنِ الصَّلاةِ عَلَيْهِمْ في قَولِهِ: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، وقدْ ذكرَ فيها لَفْظ الكُفْرِ، والفِسْقُ هُنا الخُروجُ عَنِ الإيمانِ بَعْدَ التَّلَبُّسِ بِهِ، أَيْ: بِصورَةِ الإيمانِ، فَيَكونُ المُرادُ مِنَ الفِسْقِ مَعْنًى أَشْنَعَ مِنَ الكُفْرِ[1]، وهو أَنْسبُ لِتَجْليَةِ عِلّة النَّهْي.

والتَّعبيرُ بالكُفرِ في قَولِه: ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾؛ لأنَّ جُمْلَة: ﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ في مَوْضِعِ الحالِ مِنَ الضَّميرِ المُضافِ إِلَيْهِ، لِأَنَّهُ إِذا زَهَقَتِ النَّفْسُ في حالِ الكُفْرِ فَقَدْ ماتَ كافِرًا[2]. وجمعَ بَيْنَهُما لِلزِّيادَةِ في تَقْبيحِ أَمْرِهِمْ وتَحْقيرِ شَأنِهِم؛ فَهُم لَم يَكْتَفوا بِالكُفْرِ وَحْدَه، وإنما أَضافوا إِلَيهِ الفِسْقَ، وهو الخُروجُ عَن كلِّ قولٍ طيِّبٍ وخُلقٍ حَسنٍ وفِعلٍ كَريمٍ[3].

سِرُّ اخْتِصاصِ سورَةِ التّوبَة بِورودِ: ﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾:

كَشْفُ طَويَّةِ المنافقينَ وبَيانُ حُكْمِهِمْ لَو ماتوا عَلى ذلكَ

ورَدَ قَوله: ﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ في سورَةِ التّوبَةِ دونَ غيرِها مِن سوَرِ القُرآنِ الكَريم، في ثَلاثَةِ مواضِعَ:

الأوّل في قَوْله: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: 55]

والثّاني في قَوله: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: 85].

والثالث في قَوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: 125].

---

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/285.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/229.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 6/371.

ونَلحظُ في المواضعِ الثّلاثةِ أنَّ جُمْلةَ ﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ وقَعتْ حالًا؛ فهو حالُ المنافقينَ عِند زُهوقِ أنْفُسِهم ومَوتِهم، وفيهِ وَعيدٌ شَديدٌ لَهُم، لا يَكاد يَحْتَملُهُ أَحدٌ.

واخْتصاصُ سورَةِ التّوبَة بِورودِ ذلكَ؛ لِما فيهِ مِن بَيانِ حَقيقةِ هؤلاءِ المنافقينَ الّذينَ أضَرّوا بِالمُسلمينَ، وما يَضرّونَ إلّا بِأنْفُسهمْ، وهُم لا يَشعرونَ.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

العجبُ والحُبُّ:

المَحَبَّةُ تَستلزِمُ الإعجابَ، أمّا الإعْجابُ فَقد لا تَصْحَبُهُ المَحَبَّةُ

العجبُ بالشَّيْءِ: شدَّةُ السُّرورِ بِهِ حَتَّى لا يُعادلهُ شَيْء عِنْد صاحبِهِ، تَقول: هوَ مُعجبٌ بِفلانَةٍ؛ إذا كانَ شَديدَ السُّرورِ بها، وَهوَ مُعجَبٌ بِنَفسِهِ؛ إذا كانَ مَسْرورًا بِخصالها، وَلِهَذا يُقال: أعْجَبهُ، كَما يُقال: سُرَّ بِهِ، فَلَيس العجبُ مِنَ الكِبْرِ في شَيْءٍ[1]، والإعْجابُ اسْتِحْسانٌ مَشوبٌ بِاسْتِغْرابٍ وَسُرورٍ مِنَ المَرْئيِّ[2].

وأصْلُ المحبّةِ المَيْلُ لِما يُوافِقُ المحبوب[3]، والمحبّة: إرادَةُ ما تَراهُ أوْ تَظنُّه خيراً[4]، والحُبّ يَدلّ على التَّجمُّعِ والتَّلازُمِ؛ إذْ هو تعلُّقُ القَلبِ بِالمحبوبِ، وملازَمَتُه إياهُ ماديًّا أوْ فكريًّا[5]، والنَّهيُ عَنِ الإعجابِ هُنا هو الأنْسَبُ لِلآيَةِ الكريمةِ؛ لِقَطْعِ طَريقِ الاسْتِحْسانِ؛ حتّى لا يَصِل إلى مَرْحلةِ الحُبِّ والإرادَةِ.

والّذي يُمكنُ اسْتنتاجُهُ مِن عَرْضِ المعْنَيَين: أنّ المَحبَّة تَسْتَلزم الإعْجابَ، أمّا الإعْجابُ فَقد لا تَصْحَبُهُ المَحَبَّةُ؛ لأنَّ مُعتَمَدَهُ الانْبِهارُ بِالشَّيءِ، وهو غَيرُ مُسْتَلزِمٍ لِمَحَبَّتِه.

(1) أبو هلال العسكريّ، الفروق اللّغويَّة، ص: 248.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/229.
(3) كما ذكره القاضي عياض.
(4) الرّاغب الأصفهانيّ، المفردات: (حب).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (حب).

(يُريد)، و(يَطْلبُ):

كلُّ طَلَبٍ إرادَةٌ، ولَيسَت كُلُّ إرادَةٍ طلبًا

الإرادَةُ – على أحَد الاعْتبارات – مُلْزِمَةٌ باعتبارِها مَشيئَةً، وقدْ يَعتري الطّلَبَ التَّخَلُّفُ. وعَليهِ: فإنّ الأَلْيَقَ بالآيَةِ إيرادُ مُصْطَلحِ الإرادَةِ؛ حتَّى لا يَتَخَلَّفَ ما قَضاهُ اللّهُ ﷻ في حقِّ المنافقينَ.

(تَزهق)، (تَخرج)، (تَهلك):

الزُّهوقُ خُرُوجُ رُوحٍ مَخصُوص

الزّهوقُ: الخُروجُ بِشِدَّةٍ وضيقٍ. وقدْ شاعَ ذِكرهُ في خُروجِ الرّوحِ من الجَسَدِ. والزّهقُ هو الخروجُ بِصعوبَةٍ. فالفَرْق يَتَخرَّج عَلى أنَّ الخروجَ تَسْتوي فيهِ الشِّدَّة والسُّهولَةُ، أمّا الزّهوقُ فهو الخروجُ بِشِدّةٍ وضيقٍ؛ ويُحملُ الهَلاكُ على المَوتِ لِلإنْسانِ والفَناءِ لِلأشياءِ[1].

فالخُروجُ أَعَمّ مُطلقًا، والزّهوقُ أَخَصّ مُطلقًا، والهَلاكُ أَعمّ مِن وَجهٍ وأَخصّ مِن وَجهٍ آخَر.

الفِسْقُ والكُفْرُ:

الفِسْقُ أَعَمُّ مِنَ الكُفْرِ

الفِسْق: خُروجٌ عَن الطّاعةِ وتَظاهُرٌ بالمعاصي وإصْرارٌ عَلَيها، وأمّا الكُفْر فهو جُحودٌ لا يُؤمِنُ صاحِبُهُ باللّهِ، أوْ لا يُؤمِنُ بِرَسولِهِ ﷺ. وعَليهِ فالفِسْقُ أَعَمّ مِنَ الكُفرِ، فَكُلّ كُفْرٍ فِسْقٌ، ولَيسَ كُلّ فِسْقٍ كُفْرًا.

الإرادَةُ والمشيئَةُ:

الإرادَةُ أَعَمُّ مِنَ المَشيئَةِ باعتبار

الإرادَةُ: هيَ العَزمُ على الفِعْل أوِ التَّرْك بَعدَ تَصوُّرِ الغايَةِ المُتَرتِّبَةِ عَليهِ مِن خَيرٍ، أوْ نَفْع، أو لَذَّة ونَحوِ ذلك، وهي أخصّ مِنَ المشيئَةِ بهذا الاعتبارِ، لأنَّ المشيئةَ ابتِداءُ العَزمِ على الفِعلِ، فَنِسْبتها إلى الإرادَةِ نِسْبةُ الضَّعفِ إلى القُوَّة، والظَّنِّ إلى الجَزم، فَإنّكَ ربّما شِئتَ شيئًا ولا تريدهُ، لمانعٍ عَقْليٍّ أوْ شَرْعيٍّ، وأمّا الإرادَةُ فَمَتى حَصلَتْ صَدَر الفعلُ لا مَحالَةَ، وقد يُطْلق كُلٌّ مِنْهما عَلى الآخَر تَوسُّعًا[2].

كَما أنَّ الإرادَةَ تَكونُ لِما يَتراخى وَقتُهُ ولِما لا يَتراخى، والمشيئَةُ لِما

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/37.

(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة بترتيب وزيادة، ص: 35.

لَم يَتراخ وَقتُهُ، وبهذا الاعتبارِ تكونُ الإرادةُ أعمَّ من المشيئةِ والشّاهِد أنَّك تَقول: فَعَلت كَذا شاءَ زيدٌ أَوَ أَبَى، فيُقابلُ بِها إباه، وذلكَ إنَّما يَكون عِند مُحاولَةِ الفِعلِ، وكذلكَ مَشيئَتُهُ إنّما تَكون بَدلًا مِن ذلك في حالِهِ[1].

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة بترتيب وزيادة، ص: 35.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 17 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-14-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 17 : المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-14-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4716310 بتاريخ 2024/01/24م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»